من هنا ومن هناك

إبسن وأرنولد بنت

كتبنا هنا كلمة عن أثر إبسن فى إحياء الدرامة فى الأقطار الأوربية عامة وانجلترا خاصة ، وأشرنا إلى العلاقة بين إبسن وبين صمويل بطلر صاحب قصة (طريق اللحم) وبين بطلر وبرنردشو وهم جميعاً من أنصار المرأة الذين وقفوا جهود الجبابرة للدفاع عن قضيتها والنضال فى سبيلها لتحصل على أوفر قسط من الحرية التى ما تزال — تحت ضغط التقاليد — محرومة منها إلى اليوم .

وقد كنا نقرأ درامة القصصى الانجليزى الطائر الصيت آرنولد بنت Bennett المسماة (مباراة الحب) The Match of Love فراعنا أن نجد هذا الكاتب البقرى يحاول محاولة صادقة أن يتم جهود إبسن ! !

والمعروف أن إبسن كان يعرض فى دراماته لعلل هذا العالم فيشخصها ويعرضها للنظارة ، ولكنه يتركها دون أن يصف لها علاجا ، وأحسن مثال لذلك درامته (بيت عروس) The Doll's House التى يعرض فيها حياة الفتاة نورا وما تورطت فيه من غرام بشخص غنى حاولت أن تحصل منه — بسبيل هذا الغرام — على مبلغ من المال يستعين به زوجها المريض على السفر الى الجنوب للاستشفاء مما به من مرض ... ولكن زوجها يكتشف علاقتها بذلك الرجل الغنى فيعاتبها ... ولكنها تثور وتتهمه أنه هو سبب هذا السلوك الذى آلمه منها ، وأنه لم يحسن تكييفها حتى تكون ربة منزل ، وأنها لا بد تاركته لتدرس الدنيا والحياة من جديد ، لأنها ترفض أن تظل الى الأبد (دمية أو لعبة) فى المنزل ، تأكل الشوكولاته ، وتنشى صالات الرقص ، وتقتنى الأزهار ، وهى لا تعرف من الشؤون المنزلية كثيراً أو قليلاً ... فاذا سألها زوجها ولمن تترك تربية الأطفال أبناءها ؟ أجابته إنها تتركهم له أو أنها لا تدرى ... وكيف تربيهم وهى لم تتربى ؟ أليس أولى أن تتربى هى أولا ؟ !

وعند هذا تنتهى الدرامة وتنزل الستار !! وبذلك لم يصف لنا إبسن كيف تعالج نورا ؟ أو الى أين تذهب لتحصل على القسط الذي يعوزها من التربية . لذلك راعنا من أرنولد بنت محاولته معالجة هذه الزوجة التى تغرم بأكل الشوكولاته وتولع بالمراقص والمسارح ودور الصور والصالات ، ولا تعرف من أمور منزلها أى شىء حتى ولا كيف تسوس الخدم ! ! وتتلخص درامة بنت فى أن نينا الممثلة البارعة وزوجة مدير مسرح الملك جورج بلندن قد أحبها (روس) أحد كبار الأغنياء الانجليز ، وقد حدث أن أشرف الزوج — مدير المسرح — على الافلاس ، فاضطر لأن يذهب إلى (روس) ليقترض منه بضعة آلاف من الجنيهات يصلح بها مالية مسرحه ويحفظه بها من الأغلاق . . وتكون نينا عند روس فى هذه الآونة تساقيه كؤوس الغرام فما يكادان يطمان بقدومه حتى يصلحا من شأنهما ويتأهبا للقائه ، ويعده روس خيراً وينصرف على ميعاد آخر ، فاذا حان هذا الميعاد أقبل الزوج وكله أمل أنه قابض الآلاف التى

شجناً من أشجان الزمان ! من أجل ذلك صدرت إرادتنا أيها الأصدقاء بأن تحتفل طيبة بملكها الراحل احتفالاً يليق بتضحياته العزيزة ، وأن تمشى الأمة بأسرها فى إثره الى مقره الأخير ، حيث يذرف كل منا عبرة على جدث الى الأبد قربان المحبة ورمز الاعتزاز ! أما بولينيز ! فسينبذ بالعراء فتمزقه الكلاب وتتغذى به جوارح الطير . والويل كل الويل لمن تحدثه نفسه بدفنه ، أو حثو التراب عليه . . . وسنجزى الظالمين ! !»

ورئيس المنشدين : «كلمتك قانون على الأحياء ، وشريعة من السماء ، أيها الملك العظيم !

— «إذن . فلتكن طيبة كلها عيونا ساهرة على تنفيذ أمرنا ! »

(لها بقية)

دريني خشبة

يبتغيها ، وتكون نينا فى هذه المرة أيضاً بين ذراعى روس ، فاذا دق الجرس وعلم روس أنه هو ، خبأ نينا فى مخدعه ولقى الزوج ... ولكن ثورة من الشرف والكرامة تتفجر فى قلب روس فيصارح الزوج بعلاقته الغرامية بزوجته ، وتخرج الزوجة سمقة ، ويغادر الزوج المنزل ليطلق زوجته ، ويتمالك روس قواه ويتناول التليفون فيخاطب أحد أصدقائه أصحاب الملايين فى إقراض مدير المسرح بضعة آلاف من الجنيهات على أن تحتسب على روس بشرط ألا يعلم مدير المسرح . ويتزوج روس من حبيبته ... ثم يبدأ الدرس القاسى الذى يصلح به سلوكها ويخلق منها زوجة مدبرة وربة منزل بكل ما تحمل الكلمة من معان ؛ وذلك بعد أن تسوءه منها بعض التصرفات التى تدل على طيش النساء اللائى لم يحصلن على أية ثقافة منزلية

يدعى روس أنه جازف فى عمل تجارى ولكنه جر عليه الافلاس ، وأنه مضطر لأن يبيع كل شىء . . . منزله وضياعه وعرباته وكثيراً من ملابسه وأثاثه ليسدد ديونه . . . ولكنه يلقى من نينا كل عطف وتضحية ، فانها بدلاً من أن تتركه لتلوذ بغيره من الموسرين ، تقدم له كل حليها وجواهرها التى تسوى آلافاً كثيرة ... فيسير روس فى درسه ... وينتقل إلى (شقة) حقيرة فى منزل قذر ليعيش فيه عيشة الكفاف ، فلا تأبى نينا أن تقاسمه صرامة هذا العيش ، بل تقوم هى على حاجيات المنزل فتحسن تدبيرها كل الاحسان .. ويكون اليوم السابع والعشرون من الشهر ويحضر محصل (البلدية) من أجل ثمن الغاز فلا يكون مع نينا إلا أربعة بنسات ونصف فينذرها المحصل بقطع التيار ان لم يسدد المبلغ (باكر !) ويحضر روس فتطلب إليه قليلاً من النقود لهذا الغرض فيثور بها ويتهمها أنها غير مدبرة وأنها مسرفة كل الاسراف ، ويطلب إليها أن تطلعه على (كشف بالمصاريف الشهرية) فتدهش نينا لهذا الطلب ، ولكن روس يداعبها ويطلب منها أن ترتدى أحسن ملابسها لزيارة (المتحف البريطانى ؟ !) ولكنها تكاد تجن لأنها لم تعتد زيارة هذه الأماكن الجدية ... وتأتى أختها آن لزيارتها فيتركهما روس وينصرف ... وتعجب آن لقذارة (الشقة) وتسأل أختها لم تسكن هى وزوجها فى مثل هذا الحى الوضيع مع أنه قد أصبح أغنى رجل فى انجلترا ؟ وتضحك نينا وتقول بل إنه أفقر رجل فى انجلترا لأنه أفلس وباع كل ما يملك ليسدد ديونه ؟ ! وتدهش آن وتؤكد لها أن روس قد ربح أمس فقط من صفقة البن البرازيلى سبعة ملايين من الجنيهات ، وأنه لا بد قد تعمد أن يلقنها هذا الدرس فى الاقتصاد والتدبير المنزلى تعمدا ... وتفطن نينا للسر فتثور وتذهب من فورها إلى روس فى محل عمله الذى كان قد أخبرها أنه أغلقه فتجده غارقاً فى أعمال لا حصر لها وتتأكد من صدق ما أخبرتها به آن ... ويعود الجميع إلى قصرهم القديم حيث تجد نينا كل الخدم وكل الخير القديم كما كان ... فتعاتب روس الذى يذهب بها إلى (دولاب) مجوهراتها فتجدها سليمة لم تبع ! ! ويعيشان عيشة راغدة جديدة ولكن عيشة كلها جد وعمل ! !

وقد لمحنا أثر إبسن فى أرنولد بنت واضحاً لأنه ذكر (عروس بيت) غير مرة فى ثنايا الدرامة فكأنه كان يقول (أنا أتمم جهود إبسن ! !)

أوجست سترندبرج

وما دمنا قد تحدثنا هذا الحديث عن إبسن النرويجى العظيم فلا بأس من ايراد شىء عن منافسه السويدى الكبير أوجست سترندبرج الذى كان يهزأ بتعاليم إبسن ويسخط على دفاعه عنها ويعتبر دراماته ضرباً من الجنون والحماقة يجب عرضه فى مستشفيات المجاذيب بدل عرضه فى المسارح .. والسر فى كراهية سترندبرج للمرأة هو نفس السر الذى جعل الأديب اليونانى الكبير يوريبيدز ألد أعدائها منذ أربعة وعشرين قرناً ، فلقد تزوج كل منهما وفشل فى زواجه ثلاث مرات وكانت زوجاتهما من اللائى طلبن الطلاق وعملن له حتى حصلن عليه ، وبذا كانت نظرة كل من الأديبين الكبيرين للمرأة نظرة سوداء كلها شؤم وكلها موجدة ، وقد وجد يوريبيدز من ينتقم منه للمرأة بعد موته وكان ذلك هو أرسطوفان الرواقى الفكاهى الخبيث الذى وضع معظم دراماته فى الطعن على يوريبيدز والتشهير به وبآرائه . أما سترندبرج فقد مات ولم يشعر به أحد ، لأن إبسن كان يدعو الى تحرير المرأة دعوة حارة صادقة استجابت لها أوربا بأسرها ، وبدأ العالم كله يستجيب لها حتى فى مجاهل آسيا وأواسط أفريقيا المظلمة

ولد إبسن سنة ١٨٢٨ فى بلدة سكين فى جنوب النرويج ومات سنة ١٩٠٦

وولد سترندبرج فى ستوكهلم سنة ١٨٤٩ ومات سنة ١٩١٢

هزيمة غاندى وانتصار طاغور

انهزم غاندى ، وأسدل الستار على الفصل الأخير من درامة المهاتما ، ولو قدمات غاندى فى إبان مقاومته لانجلترا فى حركة العصيان المدنى لاعتبره المؤرخون لغزاً كما لو كان نابليون قد مات بعد بينا أوتيلست ... ولكن القدر الساخر يأبى إلا أن يلطخ البطولة ويفضحها ... وذلك بطول العمر !! والحقيقة أن طاغور لم يكن يوماً من الأيام راضياً عن وسائل غاندى ، وكان يتهمه بالتهريج والشعوذة كلما رآه يجند كهانات الهند ويدمج عقليته فى صميم عقلية الجماهير . وكانت غضبة طاغور على المهاتما شديدة قاسية سنة الزلزال المشهور الذى خسف جانباً من الأرض ، لأن غاندى عزا الزلزال إلى سخط الاله وغضبه ولم يعزه إلى أسبابه الجغرافية التى يتعلمها صغار التلاميذ فى المدارس . ويبدو أن لقب مهاتما أثر أثراً سيئاً فى روح غاندى ، وملأه بشعور النبوة إن لم يكن الألوهية ، ودليل ذلك ادعاءه غير مرة أنه يصوم بأمر الاله ... وأنه لم يفصل كفنا إلا بعد أن سمع صوت الاله يناديه ويناشده . وقد كانت أول هزيمة غاندى فى تجرده من زعامته السياسية وتفرغه للزعامة الاجتماعية ... وبذا فقد الزعامتين جميعاً ، مع أن كثيرين حبذوا تصرف غاندى أول الأمر ولاسيما بعد أن أعلن أنه سيفرد جهاده لخير المنبوذين ... ولكنه ، وياللأسف ، أراد من المنبوذين أن يطيعوا الشرائع ويؤدوا ما فرضت عليهم ... أى أنه لم يحلهم من سادى النجاسة ... ثم غلاهو فى امتثاله أوامر دينه فلم يبرح يقدس البقرة ويتبرك ببولها ويتطهر ببولها ... وذلك ما عيره به ابنه الذى هداه الله إلى الاسلام أخيراً ... والحقيقة أن سلوك غاندى الأخير لا يطاق ، بل كان سبباً فى ثورة الشباب ضده ، وتألبهم عليه ، واعتبارهم إياه سبب ضعف الهند وخضوعها

وفى هزيمة غاندى انتصار لطاغور من غير ريب ... رابندرانات طاغور شاعر الهند وأديبها الأشهر وفنانها العظيم ... الرجل الذى خدم الهند بشهرته العالمية فى دولة الآداب أكثر مما خدمها غاندى بسياسته العقيمة وأساليبه الرجعية الواهية

لقد كان طاغور يمقت من غاندى عداءه للجسم وتوهينه له وتهريجه بروح على حسابه ، وكان يرى أن الجسم نصف الانسان والروح نصفه الآخر ، وأنه ينبغى أن يعنى بهما بمقدار واحد ، لا أن نوهن أحدهما على حساب الآخر ، فليس روح سليم إلا فى جسم سليم ، وقد ظل طاغور يشهر من أدبه أسلحة مهلكة على تعاليم غاندى ، وبذلك تم له الفوز ، وانتشل من يديه شباب بلاده الذين أخذوا يدمنون قراءة قصصه بشغف وتلذذ ، بعد ما كانوا يكرهونها بسبب غاندى

قصص طاغور

كان طاغور شاعرا قبل أن يكون قصصياً ، وأشعاره هى غناء الروح ، وبلسم القلوب الجريحة ، وشفاء النفوس المكلومة ؛ وأغانيه هى هتاف الناب ، وموسيقى أحراش البنغال ، ورفيف النسيم الحلو على حقول الأرز فوق عُدْوَتَى الكنج ! ومن أمتع أشعاره التى كتبها بالانجليزية (البستانى Gardener) حيث تبدو مهارته فى مزج الحب بالبكاء ، والألم بالغزل ، والعبوس بالابتسام

وبين طاغور الشاعر وطاغور القصصى صلة لا تنفصم ، ذلك أنه يضفى روحه الشعرية على قصصه ، فتخرج قصائد طويلة منثورة تنقع غلة القلب ، وتؤدب النفس ، وتسمو بقارئها فوق أدران البشرية ، وتحلق به فى سموات من النقاء والصفاء

بيد أننا نفضل أقاصيص طاغور على قصصه ، وذلك لبراعته التامة فى كتابة القصة القصيرة ، وفشله الذريع فى القصة الكبيرة ؛ فمن يقرأ مثلاً روايته (الضحية) ، أو (وكيل البريد) ، أو (خالتى) ، أو (الناسك) ... ... الخ يروعه من طاغور ذلك الخيال الخصب ، والتفكير العميق ، والفن الكامل فى كتابة القصة أو الرواية

ولكنا ، بكل أسف ، حينما قرأنا قصته الطويلة (الغرق) (The Wreck) وجدناه ينحدر عن ذروته السامية التى كان يحلق فوقها فى القصة القصيرة ، وذلك لأنه كان كلما وقع خلال القصة فى ورطة ، أو وصل إلى عقدة لم يجد منها مخرجاً الا بالركون الى (الصُّدفة) ، ولذا كانت القصة كلها مصدومة فقلت كثيراً من قيمتها كقصة من فن طاغور . ذلك بالرغم مما فيها من طلاوة الأسلوب وحلاوة الروح الشعرى الجميل الأخاذ

(يتبع)